تحليل رسالة (الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري) في ضوء نظرية المسالك والغايات

نور مناور الشمري

طالبة ماجستير - اللغة العربية وآدابها - تخصص لغة

ملخص: يقدم هذا البحث تحليلا لرسالة الخليفة عمر بن الخطاب لوالي البصرة أبي موسى الأشعري، بالاعتماد على مبادئ نظرية المسالك والغايات لصاحبها محمد محمد يونس. فحللنا الرسالة انطلاقا من ثلاثة محاور أساسية، إذ تناولنا في المحور الأول مرجعيات خطاب الرسالة، والتي تتجلى في المرجعية التخاطبية، المرجعية الواقعية، مرجعية السلطة، وأخيرا مرجعية النص. بينما درسنا في المحور الثاني المسالك المتبعة في صياغة خطاب الرسالة، وهي: المسالك البيانية، المسلك الموقفي، المسلك البنائي، المسلك الحجاجي. وأخيرا درسنا في المحور الثالث والأخير غايات وأغراض ومقاصد الرسالة، مظهرين الاختلاف بين المصطلحات الثلاثة، موضحين إياها من خلال دراستها في نص الرسالة. ويتضح من خلال دراسة رسالة الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري وفق نظرية المسالك والغايات، أنها عبارة عن وثيقة خالدة في التقعيد لأسس القضاء العادل، والتي تصلح لإقامة أسسه في كل زمان ومكان، نظرا لكون المرسل استنبط مضامينها من كتاب الله وسنة نبيه. فاختزل مضامينهما، وأوردها في خير صورة، وأجمل شكل.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، نظرية المسالك والغايات، نص، المرجعيات، عمر بن الخطاب، أبو موسى الأشعري.

Abstract : This research provides an analysis of the letter from the Caliph Umar ibn al-Khattab to the Governor of Basra, Abu Musa al-Ash'ari, relying on the principles of the theory of rhetoric and purposes by its owner Muhammad Muhammad Younis. We analyzed the letter based on three main axes, starting with the references of the letter's discourse, which are manifested in the rhetorical reference, the realistic reference, the authority reference, and finally the textual reference. In the second axis, we studied the methods used in formulating the letter's discourse, which are: the narrative method, the positional method, the structural method, and the argumentative method. Finally, in the third and final axis, we studied the goals, purposes, and objectives of the letter, showing the difference between the three terms and illustrating them through their study in the text of the letter. Through studying the letter of Caliph Umar ibn al-Khattab to Abu Musa al-Ash'ari according to the theory of rhetoric and purposes, it is evident that it is a timeless document in establishing the foundations of fair justice, suitable for establishing its foundations in every time and place, as the sender derived its contents from the book of God and the Sunnah of His Prophet. He condensed their contents and presented them in the best form and most beautiful manner.

Keywords: discourse, theory of rhetoric and purposes, text, references, Umar ibn al-Khattab, Abu Musa al-Ash'ari.

تحليل رسالة (الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري) في ضوء نظرية المسالك والغايات

نور مناور الشمري
طالبة ماجستير - اللغة العربية وآدابها - تخصص لغة

المقدمة:

يعد الخطاب قناة قديمة للتواصل الإنساني، فهو عبارة عن كلام موجه، حمّله مرسله مجموعة من المقاصد والغايات والأغراض، واستعمل لإيصالها مجموعة من المسالك والطرق الخطابية المتقنة، وذلك بهدف التأثير في المتلقي وحمله على اعتناق فكرة معينة متبناة من طرف المرسل.

ويستعمل الخطاب في مجالات عديدة، كالمجال السياسي، الأدبي، التعليمي، والقانوني. ونختص في دراستنا هذه الخطاب القانوني، وبشكل أدق الخطاب القضائي، وذلك من خلال دراسة وثيقة تظهر سعي واحد من أبرز الخلفاء الراشدين إلى تقصي العدل وإقامة أسسه، أسوة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعامله مع المسلمين. فكان هذا النص نموذجا متكاملا للنص التشريعي القضائي الإسلامي، والذي عرف باستيفائه لشروط القضاء العادل.

ولتحليل مدى قدرة هذا الخطاب على تقديم شروط القضاء العادل على أكمل وجه، سنعتمد نظرية المسالك والغايات. فما الأسس والمفاهيم التي تقوم عليها هذه النظرية؟ وإلى أي مدى حقق هذا الخطاب الأهداف التي بني من أجلها؟

١. نظرية المسالك والغايات

تقوم نظرية المسالك والغايات على الفكرة التي تعتبر الغرض من اللغة لا يقف عند التواصل، وإنما يتعداه ليكون وسيلة لتحقيق الغايات، وذلك عبر مجموعة من الأفعال اللغوية التي تؤثر في الواقع وتحدث فيه تغيير. هذه الأفعال تعين المتكلم على قضاء مجموعة من الأغراض، من بينها أفعال التحية والوعد والوعيد وغيرها من

الأفعال...ومن بين تلك الأفعال نذكر الألفاظ التي يرتكز عليها الخطاب القانوني والتشريعي الإسلامي.[١]

١,١. مسالك الخطاب:

١,١,١. تعريفها

يتقاطع مفهوم المسالك في مجال تحليل الخطاب ومصطلح الاستراتيجيات. ويحيل هذا الأخير على التخطيط الدقيق بعيد المدى مع التأني والتروي فيهما.[٢] وهنا يظهر اختلاف الدقيق بين المصطلحين، فإن كان مصطلح الاستراتيجية يتضمن مفهوم التأني في التخطيط والتنظيم الدقيقين مما يتطلب مدة طويلة من الزمن، فإن مفهوم المسالك يفتقر إلى طول المدة، لكون الخطاب وليد لحظة التلفظ، ورغم أنه يصاغ وفق منهج كلامي معين لأداء غاية معينة إلا أن هذه الصياغة لا تتطلب التأني الشديد لوضعها.

ويرد مصطلح المسالك في كتب التراث والفقه بمعنى الطرق التي تستنبط بها العلل، وهي السبيل للوصول إلى مقصد الكلام. فهو بذلك الطريقة والمذهب الكلامي المتصف بالدقة والاستقامة وجودة النظم. فيكون المسلك التخاطبي بذلك عبارة عن طريقة تعبير مخطط لها عبر استراتيجية ذهنية بسيطة أو مركبة، تستثمر بعض المعطيات الوضعية والسياقية والقواعد والوسائل التخاطبية لتحقيق غايات المتكلم من إلقاء خطاب معين.[٣]

٢,١,١. أنواعها مسالك الخطاب

ومسالك الخطاب كثيرة، إذ أنها تتنوع بتنوع أغراض الخطاب، فكل نوع منها يخدم غرضا تخاطبيا معينا. حيث نذكر من بينها:

- **المسالك البيانية**: وتقوم على حرص المتكلم على صدق خطابه ودقة مضامينه، وكذا مناسبة المقام التخاطبي الذي ورد فيه.[٤] فيكون الخطاب بذلك واضحا مباشر المعنى صريح الغاية والهدف.

---

[١] محمد محمد يونس علي، ما بعد المعنى، المسالك والغايات، مجلو اللغات الإنسانية والعلمية، جامعة المرقب، العدد الأول، ٢٠١٨، ليبيا:١٤.

[٢] محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦، عمان: ٧٢.

[٣] المرجع نفسه ٧٦-٧٧.

[٤] المرجع السابق ١٠٢-١٠٣.

- **المسالك الموقفية**: وتتعلق بملاءمة الخطاب للسياق التخاطبي الذي ورد فيه، فالخطاب الناجح هو الخطاب الذي يلائم الموقف الكلامي الذي يرد فيه. ومن أهم العناصر التي تراعى في هذا المسلك حال المخاطب، وشخصيته، ومدى إدراكه.[٥] فالكلام الذي يوجه للمخاطب المثقف ليس هو الكلام الموجه للمخاطب الجاهل.

- **المسالك البنائية:** وهي المسالك التي تعنى ببناء الجملة وبناء النص، وتتفرع إلى مسالك نظمية المتعلقة بطرق نظم الجمل، وتحديد الأفعال الكلامية المعتمدة فيها. ومسالك تأليفية تختص بنص الخطاب في شموليته، فهي تتمثل في النمط الذي بني عليه النص من قبيل النمط الشرطي، والنمط السردي والشرحي.[٦]

٢,١. مفهوم الغايات

الغايات جمع غاية، وهي النتيجة والثمرة المحصل عليها للغرض. فإذا كان الغرض عبارة عن هدف بعيد، فهو بمثابة الأثر الذي يريد المتكلم إحداثه في المخاطب، فإن الغاية هي ذلك الأثر المحدث، وهي تلك النتيجة التي يود المتكلم تحقيقها من خلال اتخاذه لمسالك محددة في خطابه الملقى. فمن الأمثلة على الغاية نذكر ألفاظ البيع التي تنقل ملكية شيء من شخص لآخر كنتيجة للتلفظ بها.[٧]

٢. توثيق نص رسالة الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري

ورد نص رسالة الخليفة عمر بن الخطب إلى أبي موسى الأشعري في العديد من كتب السنن من بينها كتاب "تاريخ المدينة" لعمر بن شبة، وكتاب "أخبار القضاة" لوكيع، وكذا كتاب "سنن الدارقطني" للدارقطني. وكل هذه الكتب تريد نفس نص الرسالة مما يدل على صحتها. لذا اخترنا كتاب "سنن الدارقطني" لاستخراج نص الرسالة من خلاله.

---

[٥] المرجع السابق ١٠٥-١٠٦.

[٦] مريم علي الفيحاني، تحليل المسلك البنائي في كتاب إحدى جواري المأمون إليه، في ضوء نظرية المسالك والغايات، مجلة مقامات، المجلد٥، العدد١، ٢٠٢١، قطر:٥٦٠

[٧] محمد محمد يونس علي، ما بعد المعنى، المسالك والغايات، مجلو اللغات الإنسانية والعلمية، جامعة المرقب، العدد الأول، ٢٠١٨، ليبيا:٣٧.

ويندرج كتاب سنن الدارقطني في باب متون الحديث لما يتضمنه من أحاديث نبوية وأقوال الصحابة مما يقدم تشريعا في مسألة فقهية معينة. ألف هذا الكتاب من طرف أبو الحسن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، المتوفى ٣٨٥ه، والمحقق من طرف شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، وأحمد برهوم. نشر من قبل مؤسسة الرسالة في لبنان سنة ١٤٢٤ه-٢٠٠٤م، وهو مؤلف من خمسة أجزاء.

وقد ورد نص الرسالة في الجزء الخامس باب كتاب الأقضية والأحكام وغير ذلك، الصفحة ٣٦٧ من كتاب "سنن الدارقطني". ورد نص الرسالة فيما يلي:[٨]

حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ النُّعْمَانِيُّ , نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ أَبِي خِدَاشٍ , نا عِيسَى بْنُ يُونُسَ , نا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ , عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ الْهُذَلِيِّ , قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ , فَافْهَمْ إِذَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ بِحُجَّةٍ , وَأَنْفِذِ الْحَقَّ إِذَا وَضَحَ , فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا نَفَاذَ لَهُ , وَآسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَعَدْلِكَ حَتَّى لَا يَيْأَسَ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِكَ وَلَا يَطْمَعُ الشَّرِيفُ فِي حَيْفِكَ , الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنِ ادَّعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ , وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا , لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءٌ قَضَيْتَهُ بِالْأَمْسِ رَاجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ وَهُدِيتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ أَنْ تُرَاجِعَ الْحَقَّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمُرَاجَعَةَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ , الْفَهْمَ الْفَهْمَ فِيمَا تَلَجْلَجَ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَمْ يَبْلُغْكَ فِي الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ , اعْرِفِ الْأَمْثَالَ وَالْأَشْبَاهَ ثُمَّ قِسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ فَاعْمَدْ إِلَى أَحَبِّهَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَشْبَهِهَا بِالْحَقِّ فِيمَا تَرَى وَاجْعَلْ لِمَنِ ادَّعَى بَيِّنَةً أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ , فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَةً أَخَذَ بِحَقِّهِ وَإِلَّا وَجَّهْتَ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْلَى لِلْعَمَى وَأَبْلَغُ فِي الْعُذْرِ , الْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودٌ فِي حَدٍّ أَوْ مُجَرَّبٌ فِي شَهَادَةِ زُورٍ أَوْ ظَنِينٌ فِي وَلَاءٍ أَوْ قَرَابَةٍ , إِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمُ السَّرَائِرَ وَدَرَأَ عَنْكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَإِيَّاكَ وَالْقَلَقَ

[٨] أبو الحسن الدارقطني، سنن الدارقطني، الجزء ٥، مؤسسة الرسالة، لبنان، ٢٠٠٤م: ٣٦٧.

وَالضَّجَرَ وَالتَّأَذِّيَ بِالنَّاسِ وَالتَّنَكُّرَ لِلْخُصُومِ فِي مَوَاطِنَ الْحَقِّ الَّتِي يُوجِبُ اللَّهُ بِهَا الْأَجْرَ وَيُحْسِنُ بِهَا الذُّخْرَ , فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحُ نِيَّتَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى نَفْسِهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ , وَمَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ يَشِنْهُ اللَّهُ , فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ , وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ»

٣. خطاب رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري

١,٣. مفهوم الخطاب:

تعددت الدراسات التي تناولت مفهوم الخطاب باعتباره مفهوم شامل يدخل في تعريف النصوص المكتوبة أو المنطوقة لمجموعة من المجالات. فنقول الخطاب الديني، والخطاب السياسي، والخطاب القضائي... وغيرها من المجالات التي توجه رسالة معينة إلى متلقي محدد قصد التأثير فيه، أو إيصال معلومة معينة له. ومن بين الدارسين الذين عرفوا مفهوم الخطاب نجد ماريان يورغنسن لويز فيليبس تعرف مصطلح الخطاب بقولها: « طريقة مخصوصة للكلام على العالم (أو جانب من جوانبه) وفهمه»[٩]

كما يعرفه الدكتور بدري فرحان الخطاب من الناحية اللسانية، السيميائية، وأخيرا التواصلية الاجتماعية بقوله: « يمكن أن نحصر أشكال التعامل مع مفهوم الخطاب في ثلاثة أشكال الأول يندرج ضمن المشروع البنيوي اللساني الذي يرى أن الخطاب مرادف لمفهوم الملفوظ ثم يأتي القول بتجاوز حدود الملفوظ الى كل أنواع الاتصال اللغوي ليشمل المكتوب لكنه لا يتجاوز الإطار اللغوي، ويأتي التوجه الثاني المنطلق من المنظور السيميائي، ما بعد السيميولوجي اللساني البنائي، وهو من نعينه عند " بنفنسيت " و "بول ريكور"، وأخيرا يأتي التوجه الثالث وهو المنظور التواصلي الاجتماعي للخطاب عند " ميشال فوكو" الذي يتجاوز المفهوم اللساني لينفتح على صورة نهائية للخطاب بصفته محمولا لمجموعة من العبارات التي تنتسب الى نظام التكوين وهذا يعني

[٩] ماريان يورغنسن لويز فيليبس، تحليل الخطاب النظرية والمنهج، ترجمة شوقي بوعناني، هيئة البحرين للثقافة والفنون، ط١، ٢٠١٩م، البحرين: ١٤.

تنوع الخطاب بحسب المظهر والوظيفة إلى خطاب اقتصادي وآخر ثقافي وغيرها.»[١٠]. وهنا يظهر تشعب مفهوم الخطاب، وكذا تعدد المجالات التي تدرسه وتسمه بسماتها الخاصة.

٢,٣. مرجعيات الخطاب في الرسالة

ينطلق الخطاب بصفة عامة من مجموعة من المرجعيات التي تؤطره برمته، فتعين المتلقي عند معرفتها على فهم مقاصد وغايات الخطاب. وتشكل المرجعيات الخطابية العديد من الجوانب المؤسسة للخطاب، إلا أن أهم هذه الجوانب تكمن في أطراف الخطاب فيما يسمى بالمرجعية التخاطبية، ومن جهة ثانية تحدد في الثقافة التي تحكم نص الخطاب فيما يعرف بالمرجعيات الثقافية وما يدخل فيها من أعراف وأفكار دينية واجتماعية لكل من المرسل والمرسل إليه، وأخيرا المرجعية السياسية والتي تمنح للمرسل الحق في التأثير في المتلقي، وهي ما يطلق عليه المرجعية السلطوية. ويمكن إضافة مرجعية النص والتي تدرس جمل الخطاب والسياق التي جاء فيه. ويمكن تقديم مرجعيات الخطاب في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى موسى الأشعري في ما يلي:

- **المرجعية التخاطبية:** وتجمل في المواضعة على كافة مستويات اللغة (الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والمعجمية، والدلالية) ومبادئ الخطاب من مبدأ الكم والكيف ومبدأ الأسلوب ومبدأ المناسبة، والتي لا بد من أن يُتفق عليها من طرف المرسل والمرسل إليه لكي لا يتم الإخلال بسير عملية فهم الخطاب وتقبله.[١١]

بالنظر إلى كون الخطاب في هذه الرسالة موجها من خليفة (عمر بن الخطاب) إلى قاضي(أبي موسى الأشعري)، حول موضوع القضاء فإن الكم المقدر لهذه الرسالة يتحدد متى ما تم المعنى، وتحقق الهدف من الرسالة. ونجد أن نص الرسالة جاء موجزا للمعنى ملما وشاملا لكل ما يجب على كل قاض معرفته وتنفيذه لتحقيق العدل على

[١٠] فرحان بدري، الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد ٨، العدد٣، ٢٠١٨، العراق:١٠.

[١١] مريم علي الفيحاني، تحليل المسلك البنائي في كتاب إحدى جواري المأمون إليه، في ضوء نظرية المسالك والغايات، مجلة مقامات، المجلد٥، العدد١، ٢٠٢١م، قطر: ٥٥٨-٥٥٩.

الطريقة الإسلامية التي تحكم حسب كتاب الله وسنة نبيه. أما من ناحية الكيف فنذكر أن المعيار المحتكم في هذا الجانب هو مبدأ الالتزام بالصدق. ولكون المخاطِب واحد من أبرز الصحابة المقربين من الرسول صلى الله عليه وسلم، والذين شهد له بالورع والتقى وشدة الإيمان، وكذا سداد الرأي ورجاحة العقل، فإنه لا يسع كل من المتلقي المباشر، أي أبو موسى الأشعري، أو المتلقين غير المباشرين أي كل قارئ لهذه الرسالة التشكيك في صدق مضمون الرسالة، أو التشكيك في عدم تحقيقها للغاية التي أرسلت من أجلها. إذ أن الخليفة عمر بن الخطاب باعتباره المرسل أعلم بشروط القضاء لكونه من أكثر الصحابة قربا من الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره منبع التشريع القضائي الإسلامي.

بالنسبة لعنصر الأسلوب في المرجعية التخاطبية ينص على ضرورة استعمال المرسل لغة مفهومة من لدن المخاطب. ونجد هنا أن الخليفة عمر بن الخطاب بنى نص رسالته بلغة واضحة لا لبس فيها، إذ لا تحتمل جملها معاني متعددة، فهي مصاغة بطريقة مباشرة واضحة. وذلك عبر تقديم الخليفة أحكام القضاء مرتبة متدرجة، مما لا يترك للمتلقي لبسا في تحديد معنى جزء من أجزائها. أما بالنسبة لمبدأي المناسبة والتأدب فنجد أن الخليفة عمر بن الخطاب صاغ نص رسالته بأسلوب آمر، صريح الأمر، مما يخاطب به الرئيس مرؤوسه، مظهرا حزم وجدية مضامين الرسالة، مؤكدا على ضرورة العمل بمقتضياتها. وذلك باعتبار سياق الحال يسمح بهذه الصيغة. فعمر بن الخطاب آن ذاك أعلى مرتبة وسلطة من أبي موسى الأشعري. إلا أنه في نفس الوقت اعتمد خطابا لا يقلل من شأن مخاطبه بوصفه قاض، وعالم في أمور الدين والشريعة الإسلامية.

- **المرجعية الواقعية:** ويمكن أن نجملها في العناصر الثقافية والاجتماعية، من أعراف وتقاليد، ودين، وطقوس، وإيديولوجيا، وكذا البنية الفكرية التي تؤطر أبناء الرقعة الجغرافية التي انبثق منها الخطاب. فكل خطاب إلا ويخلق لإيصال بعض العناصر أو

كلها من ثقافة الخطيب والمتلقي.[١٢] ويمكن اعتبار أن المرجعيات الواقعية تقوم على انسجام النص مع السياق الذي جاء فيه. ويمكن تعريف السياق المقصود هو سياق التلفظ أو سياق الحال، أو ما يطلق عليه سياق الموقف. وهو مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بوقف الكلام.[١٣]

وقد جاء نص الرسالة في سياق اختيار الخليفة عمر بن الخطاب للقضاة، ومراقبته لسير عملهم، إذ روي عنه تشدده في اختيار القضاة، وعدم اكتفائه بهذا بل قيامه بمراقبتهم، والسؤال عنهم وعن سير عملهم، ومراسلتهم وتذكيرهم بالله.[١٤] إذ روى ابن جرير الطبري عن عمر بن الخطاب أنه قال: «أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما علي؟ قالوا: نعم، قال: لا حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا؟».[١٥] لهذا نجد أن الخليفة عمر بعث رسالة لأبي موسى الأشعري في أساليب القضاء، مضمنا إياها أسس القضاء والحكم العادل، وذلك بعد أن ولاه على البصرة. فنجد أن الرسالة جاءت كعادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تتبع ولاته، وإرشادهم لأساليب الحكم السوية، التي تقوم على ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه. وذلك حرصا منه على أداء مهمة الخلافة على أكمل وجه.

- **<u>مرجعية السلطة:</u>** ويتمثل في التوجيه الذي يحمله المرسل رسالته قصد التأثير في المرسل إليه، عبر محاولة الخطيب إفهام المُخاطب معنى معين. ويمكن أن نقسم الخطاب حسب مرجعية السلطة إلى قسمين، الأول المعنى الظاهر من الكلمات، والثاني المعنى الخفي الذي يحاول من خلاله الخطيب الهيمنة والنفوذ.[١٦]

---

[١٢] عبد الفتاح يوسف، التداوليات وتنوع مرجعيات الخطاب، حدود التواصل بين لسانيات الخطاب والثقافة، عالم الفكر، ط١، ٢٠٠٤م، الكويت:٦٧٧.

[١٣] خديجة رقاز، قراءة لسانية تداولية للرسائل الديوانية، رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري نموذجا، مجلة بدايات، المجلد٤، العدد١، ٢٠٢٢م، الجزائر:٢١٣-٢١٤.

[١٤] ناصر بن عقيل بن جاسر الطريفي، القضاء في عهد عمر بن الخطاب، مكتبة التوبة، الجزء١، ط٢، ١٩٩٤م المملكة العربية السعودية:١٩١.

[١٥] محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المكتبة الحسينية المصرية، ج٥ ، :٣٣.

[١٦] زرارقة عبد السلام، مسالك الخطب من التأصيل إلى التمكين المعرفي، مجلة سيميائيات، المجلد ١٧، العدد ٢، ٢٠٢٢، الجزائر:١٣٦-١٣٥.

وتتضمن الرسالة المدروسة هنا مرجعية سلطوية أحادية، إذ يندمج الظاهر فيها بالباطن. على أساس أن الخطيب لا يحتاج تمويه كلامه للهيمنة وفرض نفوذه على المتلقي. إذ أن عمر بن الخطاب باعتباره الخليفة، أعلى سلطة من واليه أبي موسى الأشعري. وبالرغم من ذلك فإن طبيعة الحكم في الدولة الإسلامية آن ذاك القائم على مبدأ الشورى، وتحريم الحكم الفردي، جعل عمر بن الخطاب يعتمد مجموعة من الأساليب الحجاجية للتأكيد على صحة كلامه وتوجيه تفكير مخاطبه. من بينها مجموعة من العوامل الحجاجية من بينها عامل "أما بعد" كما في قوله: « ***أمّا بعد*:** فإنّ القَضاءَ فريضةٌ مُحكمة، وسُنّةٌ متّبعة». و "حتى" في قوله: « آسِ بينَ النّاس في مجلسك و وجهك ***حتّى*** لا يطمع شريفٌ في حيفك، ولا يَخَافَ ضعيفٌ من جورك». ويربط هاذين العاملين بين الوحدات اللغوية الكبرى، ويزيدان من قوتها الحجاجية، كما استعمل مجموعة من الروابط الحجاجية من قبيل واو العطف، أو، وثم التي تربط الحجج ببعضها البعض. كما رتب رسالته حسب سلم حجاجي لخدمة نتيجة ضرورة العدل في كل الأوقات، ومن ذلك قوله: ...**فإنّ القضاء فريضة مُحكمة ، و سُنّة مُتّبعة ،فافهم إذا ما أدْليَ إليكَ ، فإنّه لا ينفعُ تكلّمٌ بحقّ لا نفاذ له"**، وهي آلية شبه منطقية استعملها عمر بن الخطاب للانتقال من التوكيد إلى الأمر، من ثم التوكيد، وذلك باستعمال فاء الاستئناف، من ثم فعل الأمر (افهم)، من ثم أداة التأكيد (إن).[١٧]

- **<u>مرجعية النص:</u>** تهتم مرجعية النص بعلاقة النص بالسياق التاريخي، الأدبي والسياسي والديني.[١٨] بالتالي تقوم هذه المرجعية على دراسة سياق نص الخطاب الذي ساهم في توليده. ومن خلال الكتب التي يرد فيها نص الرسالة تتضح مرجعياته الثقافية. فمن بين الكتب التي وردت فيها الرسالة نذكر ما يلي: "تاريخ المدينة" لابن الشبة النميري ٢٦٢ه (١٣٩٩ هـ)، و"أخبار القضاة" لوكيع ٣٠٦ه (١٣٦٦هـ/١٩٤٧م)، وكتاب "السنن

[١٧] خديجة رقاز، قراءة لسانية تداولية للرسائل الديوانية، رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري نموذجا، مجلة بدايات، المجلد٤، العدد١، ٢٠٢٢م، الجزائر:٢٢٠-٢٢١.

[١٨] أحمد نتوف، أماني حسين عاطف، مرجعيات كتاب الخليفة عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص في ضوء نظرية المسالك والغايات، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، العدد ١، ٢٠٢٢م، قطر:٥٦.

الكبرى" لأبو بكر البيهقي ٤٥٨هـ (١٤٠٤هـ)، و"سنن الدارقطني" للدارقطني ٣٠٦ه (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م). فنجد أن نص الرسالة ورد في نوعين من الكتب، كتب التاريخ الإسلامي، وكتب السنن ومتون الحديث. مما يظهر أن هذه الرسالة ذات مرجعية تاريخية تهدف إلى إخبار الوقائع والأحداث البارزة في التاريخ الإسلامي. ومرجعية دينية فقهية تشريعية. إذ أنها ترد في أشهر كتب الفقه والحديث، مما يجعلها ذات مرجعية حجاجية، مما يؤكد على صحة مضامينها الفقهية، ومرجعا للفقهاء، والقضاة المسلمين في إصدار الفتاوى والأحكام القضائية.[١٩]

ويمكن القول أن عمر بن الخطاب آثر تقديم توجيهاته القضائية لأبي موسى الأشعري في شكل كتاب مخطوط، بدلا من قولها شفهيا، لما لمضامين الرسالة من أهمية بالغة تتطلب اعتبارها وثيقة مادية يتم الرجوع إليها متى ما دعت الضرورة لذلك بدون اعتبار للزمان والمكان، فالنص المكتوب أدوم من النص الشفهي. كما أن خطاب الرسالة المكتوب يعد حجة للخليفة عمر على واليه، في حالة نقض هذا الأخير إحدى بنود القضاء المحثوث على فعلها داخلها.

٤. مسالك الرسالة

١,٤. المسالك البيانية

ويقوم هذا المسلك على مدى تحصيل الخطاب لمبدأ الدقة والصدق، وكذا مدى مناسبة ما جاء فيه للمقام التخاطبي الذي قيل من أجله. وهنا يمكن تقسيم الخطاب إلى مسلك تصريحي، ومسلك تلميحي.

ويمكن القول أن خطاب رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري تندرج ضمن مسلك التوضيح لكونه استعمل فيها ألفاظا متباينة، مجتنبا ما اشترك من الالفاظ سواء لفظا أو معنى. كما أنه تجنب في صياغته نص الرسالة الإكثار من الإضمار والتقديم والتأخير. كما أنه ابتعد كليا عن الحذف مما يترك للمخاطب فرصة التأويل أو تقدير معنى الجملة. وأخيرا وازن بين في كلامه بين الإيجاز غير المخل، والإطناب غير

[١٩] المرجع السابق:٥٦.

الممل. إذ أنه أتم أسس القضاء دون أن يغفل منها شيئا، إلا أنه لم يطنب في شرح كل منها تجنبا للإطناب المخل، وكذا نظرا للموقف الخطابي الذي يفترض أن المخاطب عالم فقيه، لا يحتاج إلى تبسيط كل بند من بنود الرسالة ليتحقق عنده الفهم.[٢٠]

٢,٤. المسلك الموقفي

يندرج المسلك الموقفي في إطار احترام المخاطِب للموقف التخاطبي أثناء صياغته. ومن الباحثين ما يطلق عليه الاستراتيجية التضامنية. وبغض النظر عن الاختلاف الطفيف بين المسلك والاستراتيجية، إلا أن الاستراتيجية التضامنية توافق معنى المسلك الموقفي، فكلاهما يحرص من خلاله المرسل على صياغة رسالته، وذلك يتم عبر إزالته معالم الفروق بينه وبين المرسل إليه، مما يسهل وصول معاني خطابه إلى مخاطبه.[٢١] وتلعب مجموعة من العناصر دورا هاما في صياغة الخطاب مع مراعاة المقام التخاطبي، نذكر منها:

- مدى التشابه/الاختلاف الاجتماعي
- مدى تكرار الاتصال
- مدى امتداد المعرفة الشخصية
- درجة التآلف، أو كيفية معرفة طرفي الخطاب لكل منهم
- مدى الشعور بتطابق المزاج أو الهدف أو التفكير
- الأثر الإيجابي/ السلبي

من السهل التأكيد على كون الخليفة عمر بن الخطاب راعى متطلبات الموقف الخطابي في رسالته. إذ بالنظر إلى علاقة المرسل والمرسل إليه يتضح تطابق مضمون الرسالة والموقف الخطابي الذي ورد فيها. إذ نجد تشابه بين الخليفة عمر بن الخطاب وأبي موسى الأشعري، فالخليفة عمر بن الخطاب مسؤول على حكم وإدارة أمور الدولة

[٢٠] محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦، عمان: ١٠٣.

[٢١] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م، لبنان:٢٥٨-٢٥٩.

الإسلامية آن ذاك، وأبي موسى الأشعري مسؤول على جزء من الدولة الإسلامية. مما يوحد هدف كل من المرسل والمرسل إليه. فكلاهما يهدفان إلى إقامة أسس القضاء في رقعة محددة من الأراضي التي يحكمها المسلمون. ولهذا من البديهي تكرار الاتصال بين المسؤول الأول في الدولة والمسؤول الذي يليه سواء بشكل مباشر أو غير مباشر من قبيل هذه الرسالة المدروسة هنا. ونظرا لكون كل من عمر بن الخطاب وأبي موسى الأشعري من أوائل الصحابة دخولا للإسلام وأكثرهم قربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمرسل بهذا يعرف المستوى الفكري واللغوي للمرسل إليه بشكل جيد، بل والأكثر من ذلك يقاربه في المستوى. هكذا نجد أن المرسِل كتب رسالته دون تكلف في تبسيطها أو تجويدها, إذ أنه صاغها على مستوى عال من حيث اللغة والفكر، على اعتبار أن مخاطبه قادر على فهم مضمونها بسهولة.

ويمكن القول من خلال استيفاء المرسل لعناصر المسلك الموقفي، أن خطاب الرسالة لم يخرج عن مقتضى الحال في التخاطب، مما ساهم في تحقيقها لهدف مرسِلها في التأثير على المرسل إليه، وتطبيق مقتضياتها من طرفه على أكمل وجه.

٣,٤. المسلك البنائي

يدرس المسلك البنائي كيفية صياغة جمل الخطاب، وذلك انطلاقا من نوعين من المسلكين الفرعية، وهما: المسالك النظمية، والمسالك التأليفية.[٢٢]

- **المسالك النظمية**: وتظهر على مستوى الجمل، كما تتمظهر في أفعال الكلام. وأساليب الرصف والتموضع والاستبدال. وهي أساليب متعالقة يؤثر بعضها على بعض، إذ تسهم كلها في ترابط الجمل وتكاملها، وبالتالي إيصال المعنى على أكمل وجه.

وقد زاوج المرسل في نص الرسالة بين الإنشاء المتمثل في أفعال الأمر، من قبيل فعل: اعرف، قس، اعمد. وأسلوب الخبر من قبيل: البينة على من ادعى، إنَّ الله تولى منكم السر... كما أنه أورد عدة أساليب من بينها، أسلوب الشرط، من قبيل: "فإن

[٢٢] محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦، عمان: ١٠٦.

أحضر بينة أخذ بحقه"، "ومن تزيَّن للناس بما يعلم الله منه غير ذلك يشنه الله". وأسلوب الاستثناء، من قبيل: "أحضر بينة وإلا وجهت القضاء عليه"، "المسلمون عدول إلا مجلود في حد.."، "الصلح جائز بين المسلمين إلا صلاح أحل حراما أو حرم حلالا". وقد أورد هذه الأساليب مراعية للقواعد النحو، تامة المعنى، واضحة المضمون، تخدم مقاصد النص المتمثلة في ضرورة إرساء أسس العدل بين المسلمين.

ويمكن القول أن الخليفة عمر بن الخطاب كان حريصا على انتقاء كلمات رسالته، إذ تحرى دقتها في إيصال المعنى، ومن ذلك استعماله فعل الأمر "آس" والتي تحمل معني العدل والمساواة بين الناس. وكذا استعماله لفعل "تلجلج" في قوله: « الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك»، بدلا من كلمة تردد، وذلك للدلالة على شدة تردد الأفكار، التي لم يعرف لها مخرج. هذا الاختيار الدقيق للألفاظ يشير إلى استعمال المرسل لأسلوب الرصف والاستبدال.[٢٣]

- **المسلك التأليفي:**

ويعنى بالنص بأكمله، فهو يصف مدى تماسك أجزاء النص واتساقها.[٢٤] ويكون النص متسقا ومتماسكا إذا كانت وحداته منظمة تنظيما محكما، إذ وجب أن تقسم موضوعاته إلى أجزاء تتسم بوحدة الموضوع. وتتحدد جودة تماسك النص عبر تسلسل موضوعاته وتراتبها.

ومن هنا تتسم الرسالة الموضوعية بتنظيمها المحكم، إذ تتضمن جملة افتتاحية ممهدة لموضوع بنود القضاء وهي « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ». من ثم يقدم مباشرة أحكام القضاء مرتبة، متتابعة. إذ لا يبدأ في ذكر حكم إلا إذا أنهى الحكم الذي قبله. ولا يمر إلى مسألة دون أن يذكر جميع الأحكام المتعلقة بالمسألة التي قبلها مجتمعة، رابطا بذلك أسباب الأحكام بنتائجها. وفي آخر النص يورد موعظة

[٢٣] أماني حسين عاطف، أحمد نتوف، مرجعيات كتاب الخليفة عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص في ضوء نظرية المسالك والغايات، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، العدد ١، ٢٠٢٢م، قطر:٥٨.

[٢٤] مريم علي الفيحاني، تحليل المسلك البنائي في كتاب إحدى جواري المأمون إليه، في ضوء نظرية المسالك والغايات، مجلة مقامات، المجلد٥، العدد١، ٢٠٢١م، قطر:٥٧٣.

موجزة عن ضرورة الإخلاص لله في كل أمر، لنيل ثواب الدنيا والآخرة، وهو ما عهد في جلسات العلم والفقه، إذ يتم التذكير بأفضال الله وربط محتوى الخطاب بثوابه عز وجل، وذلك قصد التحفيز على إنجاز مضامين الخطاب.

من هنا يكون الخليفة عمر بن الخطاب استوفى عنصري التنظيم الشكلي للنص، والانسجام والاتساق المتعلق بالمعنى، فيكون بذلك بنى نصا متماسكا شكلا ومعنى.

٤,٤. المسلك الحجاجي

يهدف المخاطِب من المسلك الحجاجي إقناع المخاطب بفحوى خطابه. ويعد الحجاج أهم آليات الخطاب الإقناعية. وينقسم إلى حجاج توجيهي وحجاج تقويمي. فالنوع الأول يقوم على تقديم حجج دون الاهتمام بوقع هذه الحجج على المتلقي، فهو لا يفترض حجج المرسل إليه، فنجده يقيم حجاجه على الأفعال اللغوية التي لا تخدم إلا جزء المرسِل من الاستدلال.[٢٥] أما النوع لثاني فيفوق مستوى النوع الأول، وذلك لكون هذا النوع يقوم على افتراض رد فعل المتلقي من الحجاج المرسِل، مما يجعل هذا الأخير يبني حججه لتكون غير قابلة للتشكيك من قبل المرسل إليه، فهي تفترض حجج معارضة من قبل المتلقي، من ثم ترد عليها مسبقا.[٢٦]

بني خطاب رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري على صنف الحجاج التقويمي، إذ أن الخليفة قدم حجاج دينية تتأسس على الدستور الأعلى لدى المسلمين، أي القرآن الكريم والسنة النبوية المفصلة لمضامينه. وذلك لدحض أي حجة مضادة محتملة من قبل المرسل إليه، نظرا لكون معظم الحجج بنيت على مستوى أعلى من السلم الحجاجي، إذ لا يمكن أن تعلوها حجج أخرى. وما يظهر أن الحجج المساقة هنا لتفسير أوامر الخليفة مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية العبارة التي ابتدأ بها الخليفة كتابه، إذ قال: « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ , فَافْهَمْ إِذَا أُدْلِيَّ إِلَيْكَ

[٢٥] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م، لبنان:٤٧١.

[٢٦] المرجع السابق:٤٧٣.

بِحُجَّةٍ, وَأَنْفِذِ الْحَقَّ إِذَا وَضَحَ, فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا نَفَاذَ لَهُ»، إذ يشير الخليفة بقوله فريضة محكمة، إلى ما فرضه الله في كتابه المحكم والمنزل من عنده تعالى تام المعنى محكم المضامين، لا تشوبه شائبة. ويقصد بقوله "سنة متبعة" الإشارة إلى السنة النبوية.

ويمكن تقسيم مسالك الخطاب الحجاجية المستعملة في الرسالة إلى ثلاث مسالك أساسية هي: مسلك الحجج اللغوية، ومسلك الحجج البلاغية، وأخيرا مسلك الحجج شبه المنطقية.[٢٧]

- مسلك الحجاج اللغوي

يظهر اعتماد المخاطِب على مسلك الحجاج اللغوي عبر اعتماده لإحدى أدواته، والتي نجملها في استعمال ألفاظ التعليل (من قبيل الوصل، الشرط)، واستعمال الأفعال اللغوية، والتكرار ..

ومن بين أهم أساليب الحجاج اللغوي المعتمدة في نص الرسالة المدروسة نذكر التكرار. ويعد التكرار من أبرز الأساليب الحجاجية اللغوية التي يعتمدها المرسل لإثبات كلامه، والتأكيد على ما جاء فيه، بغية تقريره وترسيخه.[٢٨] فنجد الخليفة عمر بن الخطاب في رسالته هذه يكرر مجموعة من العناصر اللغوية. فيكرر الضمير المخاطب "ك" كما في قوله:« وَآسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَعَدْلِكَ حَتَّى لَا يَيْأَسَ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِكَ وَلَا يَطْمَعُ الشَّرِيفُ فِي حَيْفِكَ...» فهذا الضمير يعود على أبي موسى الأشعري، وذلك لتذكيره بأن الخطاب موجه إليه، فيؤكد بذلك على كونه المسؤول الوحيد على إقامة العدل بين الناس في المكان الذي ولي عليه، بالتالي فلا يلام أحد غيره إذا ما انتهك بند من بنود القضاء المقدمة في الرسالة. كما نجده كرر لفظ الجلالة "الله" للإحالة على معاني القدسية داخل الخطاب، والتأكيد على كون مقتضيات القضاء المبثوثة في الرسالة ليست من هوى نفس المرسل وإنما مستنبطة من كلام الله. كما نجده كرر لفظ مرتين متجاورين، وذلك

[٢٧] المرجع السابق:٤٧٣.

[٢٨] حليمة مسعي، الآليات الحجاجية في الخطاب الديني، خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنموذج، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد٢، العدد٥، ٢٠١٧م: ٢١٤.

في قوله:« **الْفَهْمَ الْفَهْمَ فِيمَا يُخْتَلَجُ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَمْ يَبْلُغْكَ فِي الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ**»، دلالة على التأكيد والتنبيه لأهمية ما بعده من الأوامر، من ثم تحقيق اقتناع المخاطَب بها.

كما تعد الأفعال الكلامية الإنشائية من أكثر المسالك الحجاجية إقناعا، لما لها من تأثير على نفس المخاطَب. ومن أهم الأفعال الكلامية المعتمدة في الرسالة المدروسة أفعال الأمر والنهي، ويمكن القول أن هذا المسلك الكلامي يندرج ضمن المسالك البلاغية الحجاجية كذلك، إذ تدخل أفعال الأمر والنهي في مجال الأساليب البيانية الإنشائية الطلبية.[٢٩] فنجد أفعال الأمر والنهي طاغية على جمل الرسالة المدروسة، ومن أمثلة النهي نذكر قوله: « لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءٌ...» ومن أمثلة الأمر الكثيرة نذكر قوله:« اعْرِفِ الْأَمْثَالَ وَالْأَشْبَاهَ ثُمَّ قِسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ فَاعْمَدْ إِلَى أَحَبِّهَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَشْبَهِهَا بِالْحَقِّ فِيمَا تَرَى وَاجْعَلْ لِمَنِ ادَّعَى بَيِّنَةً أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ...»، ويمكن القول أن فعلي الأمر والنهي جاءا للتعبير عن المعنى الطلبي الحقيقي، وليس المجازي. وذلك لكون الخليفة عمر هنا يطلب فعل أمر معين من أبي موسى الأشعري. ويعتبر كل من فعل الأمر والنهي حجة يخدمان نتيجة ضمنية، تتجلى في إقامة شروط القضاء السليمة وتحقيق العدل.

- المسالك البلاغية:

ولا تقتصر الأساليب البلاغية على وظيفتها الجمالية، وإنما تجاوز هذه الوظيفة إلى إقناع متلقي الخطاب بمضامينه. ومن أهمها داخل الرسالة استعمال المخاطِب أسلوب الطباق، حيث قابل بين مجموعة من الأضداد من قبيل حلال≠ حرام، الشريف ≠ الضعيف... والمقصود باستعمال هذا الأسلوب الإبلاغ والتبليغ، وليس التحسين والتجويد فقط، وذلك لأنه يقابل بين مواقف متضادة مع بيان الحكم القضائي الواجب في كل موقف.

- المسالك الشبه منطقية:

وتتضمن العديد من الأدوات الحجاجية من قبيل السلم الحجاجي، وأدواته وآلياته، من ضمنها الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية.

[٢٩] حليمة مسعي، الآليات الحجاجية في الخطاب الديني، خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنموذج، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد٢، العدد٥، ٢٠١٧م: ٢١٦.

فمن حيث السلم الحجاجي نذكر أن الخليفة ابتدأ رسالته بأعلى حجة وهي " **الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ"**، من ثم أورد بعدها حجج أقل منها حجية، رابطا الحجة الأولى بكل الحجج التي تليها، مما يهيئ المخاطب لاستقبال الخطاب نظرا لقوة إقناع افتتاحيته.

أما الروابط اللغوية فنجده يكثر من روابط العطف وبالأخص الواو والتي يربط بها بين الحجج والنتائج من قبيل " وَمُرَاجَعَةَ الْحَقِّ ← خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ" فيربط هنا المقدمة بنتيجتها من جهة ويربط هذه الحجة بباقي الحجج التي تسبقها. كما نجده يكثر من استعمال فاء الاستئناف، وهي حرف من حروف العطف التي تربط النتيجة والحجة، وتأتي للتعليل والتفسير.[٣٠] ومن بين الأمثلة عليها من نص الرسالة نذكر: " **اعْرِفِ الْأَمْثَالَ وَالْأَشْبَاهَ ← ثُمَّ قِسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ ← فَاعْمَدْ إِلَى أَحَبِّهَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَشْبَهِهَا"** فنجد أن عمر بن الخطاب استعمل رابط الفاء لربط نتيجة التي تليها بالمقدمات التي سبقتها. ونذكر أنه استعمل في نفس الموضع الرابط الحجاجي "ثم" والذي يحيل على الربط والتراخي والإمهال بين قضيتين، إذ أن معرفة الأمثال والأشباه يأخذ وقت من الزمن، لما يستلزمه من تمعن وتدبر، من ثم يأتي العمل بها.

٥. غايات الرسالة ومقاصدها وأغراضها

تشترك ألفاظ الغاية والغرض والمقصد، في كونها تدل على الشيء الذي يقصده الفاعل من وراء عمله، فهي الهدف والمقصود النافع، الذي تحقق عبر القيام بفعل عقلاني ومخطط له. ومتى لم يكن هدف الفعل عقلانيا، جرد من صفة الهدف، ووقع في خانت العبث الخالي من الهدف.[٣١] إلا أنها تتمايز عن بعضها البعض من ناحية مدى تجريدها للهدف المبتغى من القيام بالفعل، حيث تعبر الغاية عن معنى التجريد والعموم والكلية، بينما يعبر القصد عن الآنية والحسية الجزئية، وأخيرا يتوسط الغرض بين الغاية

[٣٠] حليمة مسعي، الآليات الحجاجية في الخطاب الديني، خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنموذج، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد٢، العدد٥، ٢٠١٧م: ٢١٨.

[٣١] علاء الحسّون، العدل عند مذهب أهل البيت، بحث استدلالي شامل وميسر، المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عيهم السلام، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م:٩١-٩٢.

والمقصد من حيث التجريد.[٣٢] بالتالي يمكن تقسيم أهداف رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري إلى مجموعة من الغايات، والمقاصد، والغايات.

- غايات الرسالة:

تتلخص غايات الرسالة المدروسة بشكل عام في تحقيق العدل في رقعة جغرافية معينة، وهي ولاية البصرة على اعتبار أن نص الرسالة أرسل إلى أبي موسى الأشعري بعد توليه أمر البصرة. كما يمكن القول أن غاية أي خطاب التأثير في المخاطب، وهو ما يتجلى في السبل البنائية المتبعة لصياغة الرسالة، والتي اتبع فيها مجموعة من الأساليب الإقناعية كاستعمال أسلوب الأمر، والنفي والتوكيد... والهدف من هذا التأثير دفع أبي موسى الأشعري للحكم بالعدل، وتجنب ظلم الرعية المسؤول عنها.

- أغراض الرسالة:

ويتجلى في تفقيه عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري في أمور القضاء والحكم بالعدل بين الرعية، بما يضمن المساواة بينهم، والتروي في إطلاق الأحكام ومراجعتها لضمان صحتها، ومعايير قبول لشهادات والأدلة، وغيرها من الوصايا التي تضمن سلامة الحكم وإقامة العدل. ويمكن القول أن الأغراض المستهدفة في هذه الرسالة هي: أغراض الوعظ، والإرشاد، والتعليم، والتبليغ، وكذا التخويف.[٣٣]ويمكن تقديم هذه الأغراض داخل الرسالة في ما يلي:

- <u>غرض الوعظ:</u> ويعرف بكونه:« النصح والتذكير بالعواقب»،[٣٤] ويطلق اسم الواعظ على الناصح. ويتجلى غرض الوعظ في نص الرسالة بأكمله، إذ يتضمن مجموعة من النصائح المغلفة في صيغ الأمر للدلالة على جدية هذه النصائح.

---

[٣٢] محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦، عمان: ٨٤-٨٥.

[٣٣] محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦، عمان: ٨٥.

[٣٤] محمد عبد العظيم الزرقاني، رسالة في الوعظ والإرشاد وطرقهما، دار الثقافة الإسلامية، ط١، ٢٠١٢م، الكويت:٧٤.

- غرض الإرشاد: يعرف الإرشاد بكونه: «الهداية إلى الطريق الموصل إلى المطلوب»،[٣٥] ويمكن القول أن هذا الغرض يتجلى في رغبة عمر بن الخطاب لإرشاد أبي موسى الأشعري إلى طريق العدل في الحكم والقضاء. ويمكن أن غرضي الوعظ والإرشاد يتكاملان لإيصال خطاب الديني التعليمي المستهدف من قبل عمر بن الخطاب. وهذا يقودنا إلى غرض التعليم.

- غرض التعليم: ويتمظهر غرض التعليم من خلال بيان مسألة معينة، وهو في نص الرسالة يتجلى في بيان مسائل تشريعية اعتقادية، قائمة على استنباط روح العدل في نصوص الشريعة الإسلامية القائمة على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.[٣٦]

- غرض التبليغ: ويعني نقل المعلومة والإعلام بها، ويمكن أن نختص هنا بالتبليغ اللفظي، الذي يعرف بأنه: « تبليغ رسالة إلى متلق قصد محاورته أو إقناعه، أو إيصال فكرة، أو معلومة له، ووسيلة ذلك هي الألفاظ، كما يهتم أساسا بالكلمات المنطوقة أو المكتوبة حيث تعد اللغة من أهم و سائل التبليغ في شتى المواقف».[٣٧] بالتالي فغرض التبليغ يتجلى داخل الرسالة في رغبة عمر بن الخطاب تبليغ شروط القضاء إلى أبي موسى الأشعري، عبر تقديم مجموعة من التعليمات التي تؤطر العملية القضائية. ومن بين أشكاله المذكورة في الرسالة نذكر:[٣٨]

- التكرار: باعتباره وسيلة تفيد التقرير إضافة إلى التوكيد. [٣٩] ويتمظهر داخل الرسالة في تكرار الخليفة عمر مجموعة من الألفاظ لتبليغ المرسل إليه بأهميتها، ولتنبيهه إليها، من قبيل: الحق، الفهم، الله...
- ضرب المثل: فهي وسيلة يبلغ عبرها المتكلم الفكرة للمستمع ويقربها إلى فهمه.[٤٠] ويتجلى في نص الرسالة في تقديم عمر بن الخطاب مجموعة من الحالات التي قد

[٣٥] المرجع نفسه:٧٤.
[٣٦] المرجع نفسه:٧٤.
[٣٧] حورية رزقي، لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري، بين التبليغ والتداول، جامعة محمد خيصر بسكرة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، ٢٠١٥م، الجزائر:٥٩.
[٣٨] المرجع نفسه: 59.
[٣٩] المرجع نفسه:٥٩.

يقع فيها أبي موسى الأشعري أثناء قيامه بمهمة القضاء، من بينها قوله: **" الْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودٌ فِي حَدٍّ أَوْ مُجَرَّبٌ فِي شَهَادَةِ زُورٍ أَوْ ظَنِينٌ فِي وَلَاءٍ أَوْ قَرَابَةٍ"، فالتبليغ هنا يتجلى في تعداده لمجموعة من أمثلة الشهود الذين لا تصح شهادتهم. والملاحظ أن الأمثلة الواردة في نص الرسالة** ليست أمثلة صريحة، فهي أمثلة غير مباشرة تفصل المسألة التي قيلت قبلها.

- ***مقاصد الرسالة:***

- مقاصد المخاطِب: تتحدد مقاصد الخطاب في تلك المقاصد التي يهدف المخاطِب إلى التعبير عنها داخل خطابه، ويمكن القول أن مقاصده تتجلى في المقصد التعبيري أو الانفعالي. ويمكن تعريفه بكونه المقصد الذي يعبر فيه المخاطِب بشكل مباشر عن موقفه تجاه ما يتحدث عنه، أو تقديم انطباع عن انفعال معين.[٤١] ويمكن القول أن المقصد المعبر عنه داخل الرسالة هو المقصد التعبيري، لكون المقصد الانفعالي مختص بالخطاب المنطوق أكثر من الخطاب المكتوب. ويمكن القول أن مقصد عمر بن الخطاب يتجلى في تبليغ أبي موسى الأشعري خلاصة ما تعلمه من الرسول صلى الله عليه وسلم من أمور القضاء، قصد إعانة واليه على تحقيق العدل بين الرعية التي استؤمن عليها.
- مقاصد المخاطب: وتتمظهر في المقاصد الإفهامية والتأثيرية. وتتعلق بمقصد الرسالة المتصل بالمرسل إليه. وتتمظهر داخل الرسالة في صيغ الأمر الإنشائية الطلبية. فجمل الأمر لا تخضع لمعيار الصدق والكذب مما يجعلها أكثر تأثيرا في متلقي الخطاب.[٤٢] بالتالي فمقصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو التأثير في أبي موسى الأشعري من أجل دفعه إلى الاقتناع بأهمية العدل، تحسيسه بمدى دقة عملية

[٤٠] المرجع نفسه:٧٥.
[٤١] نارت محمد خير يحيى قاخون، مقاصد الخطاب القرآني، بين المفسرين والتداوليين، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م، الأردن: ١٥٣.
[٤٢] المرجع السابق: ١٥٤.

القضاء وخطورة عدم القيام بها على أكمل وجه، وهو ما يؤكده طغيان أسلوب الأمر على نص الرسالة. فأسلوب الأمر لا يدع مجالا للشك في نفس المتلقي.

الخاتمة:

درسنا في هذا البحث الخطاب القضائي الديني المرسل من قبل الخليفة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري، وذلك وفق نظرية المسالك والغايات. مظهرين تعدد مرجعيات الخطاب داخل نص الرسالة، إذ بني الخطاب بالاعتماد على مرجعية تخاطبية تحكم العناصر الشكلية في نص الخطاب، والمرجعية الواقعية التي تربط الخطاب بالوسط الاجتماعي والثقافي الذي خلق فيه، وكذا مرجعية السلطة التي تحدد علاقة المرسل والمرسل إليه، وأخيرا مرجعيات النص التي تحدد سياقه التاريخي والديني والسياسي. كما أظهرنا المسالك المعتمدة لصياغة الخطاب والتي تتحدد في المسالك البيانية والتي اعتمد فيها المخاطِب على المسلك التصريحي المباشر. والمسلك الموقفي الذي راعى فيه المخاطِب الموقف التخاطبي مما ساهم في تحقيق أهداف الخطاب، وكذا المسلك البنائي المكون من مسلك نظمي تنسجم فيه جمل النص وأساليبه اللغوية والبلاغية، والمسلك التأليفي الذي روعي فيه حسن تنظيم النص بأكمله، ودقة مضامينه. وفي الأخير اعتمد في النص مسلك حجاجي لإقناع المرسل المتلقي بضرورة تطبيق أحكام القضاء المتضمنة فيه. ويمكن القول أن هذه المسالك ساهمت في تحقيق غايات النص ومقاصده، المتمثلة في التأثير في المتلقي، ودفعه إلى تطبيق أحكام القضاء المتضمنة داخله، وبالتالي بناء دولة العدل والمساواة.

قائمة المصادر والمراجع

الدارقطني، أبو الحسن. (٢٠٠٤). سنن الدارقطني (الجزء ٥). مؤسسة الرسالة، لبنان.
نتوف، أحمد. وعاطف، أماني حسين ،. (٢٠٢٢). مرجعيات كتاب الخليفة عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص في ضوء نظرية المسالك والغايات. مجلة التأويل وتحليل الخطاب،١(١)، قطر.
مسعي، حليمة. (٢٠١٧). الآليات الحجاجية في الخطاب الديني: خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنموذج. مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، ٢(٥)، الجزائر.
رزقي، حورية. (٢٠١٥). لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري: بين التبليغ والتداول (رسالة دكتوراه). جامعة محمد خيصر بسكرة، الجزائر.
رقاز، خديجة. (٢٠٢٢). قراءة لسانية تداولية للرسائل الديوانية: رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري نموذجًا. مجلة بدايات، ٤(١)، الجزائر.
عبد السلام، زرارقة. (٢٠٢٢). مسالك الخطب من التأصيل إلى التمكين المعرفي. مجلة سيميائيات، ١٧(٢)، الجزائر.
يوسف، عبد الفتاح. (٢٠٠٤). التداوليات وتنوع مرجعيات الخطاب: حدود التواصل بين لسانيات الخطاب والثقافة. عالم الفكر، ١، الكويت.
الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (٢٠٠٤). استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية. دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان.
الحسّون، علاء. (٢٠٠٨). العدل عند مذهب أهل البيت: بحث استدلالي شامل وميسر. المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عيهم السلام، ١.
بدري، فرحان. (٢٠١٨). الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب. مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، ٨(٣)، العراق.
الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. (بدون تاريخ). المكتبة الحسينية المصرية، ج٥.
الزرقاني، محمد عبد العظيم. (٢٠١٢).رسالة في الوعظ والإرشاد وطرقهما. دار الثقافة الإسلامية، ١، الكويت.
علي، محمد محمد يونس. (٢٠١٦).تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: نحو نظرية المسالك والغايات. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ١، عمان.
علي، محمد محمد يونس. (٢٠١٨). ما بعد المعنى: المسالك والغايات. مجلد اللغات الإنسانية والعلمية، جامعة المرقب، ١، ليبيا.
الفيحاني، مريم علي. (٢٠٢١). تحليل المسلك البنائي في كتاب إحدى جواري المأمون إليه: في ضوء نظرية المسالك والغايات. مجلة مقامات، ٥(١)، قطر.
فيليبس، ماريان يورغنسن لويز. (٢٠١٩). تحليل الخطاب: النظرية والمنهج (شوقي بوعناني، الترجمة). هيئة البحرين للثقافة والفنون، ١.
الطريفي، ناصر بن عقيل بن جاسر. (١٩٩٤). القضاء في عهد عمر بن الخطاب. مكتبة التوبة، ١، ٢، المملكة العربية السعودية.
قاخون، نارت محمد خير يحيى. (٢٠٠٩). مقاصد الخطاب القرآني: بين المفسرين والتداوليين. كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن.